مجلة العلوم الاجتماعية
المجلد 08 / العـدد: 02 مكرر (الجزء الأول) / جويلية 2019 / ص ص 220 - 234
عدد خاص بالملتقى الوطني الأول: مشروع أسلمة المعرفة، مبرراته وإشكاليات تطبيقه

التقريب التداولي أو في آلية الأسلمة عند طه عبد الر□من
(تقريب علم الأخلاق اليوناني نموذجا)

Deliberative approximation or mechanism of Islamization with Taha Abd Errahmane (approximating Greek ethics as a model)

د. عصام بوشرية[1]
[1] مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة بالأغواط (الجزائر) ، eaissam88@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/06/13 تاريخ القبول: 2019/06/15 تاريخ النشر: 2020/02/08

ملخص:
يعتبر المجال التداولي عند طه عبد الرحمن الدعامة الأساسية المؤسسة لنظريته التكاملية للتراث، فهو- أي المجال التداولي- أداة تقويم هذا التراث من خلال أصوله المحددة في: اللغة والعقيدة والمعرفة، و آليات اشتغاله الممثلة في: آلية التداخل المعرفي و آلية التقريب التداولي؛ حيث تختص الآلية الأولى(التداخل المعرفي)؛ في بحث تكامل التراث من خلال تداخل معارفه المختلفة، بينما تختص الآلية الثانية (التقريب التداولي) في تقريب العلوم المنقولة إلى المجال التداولي العربي الإسلامي، وتقريب علم الأخلاق اليوناني يتم وفق مقتضيات آلية التقريب وطبقا لأصول المجال التداولي .
كلمات مفتا□ية: التقريب، التداولي، الأخلاق، الأسلمة ،طه عبد الرحمان.

Abstract:
The deliberative field is considered with Taha Abd Errahmane Basic foundation pillar for his complementary theory of heritage, it is the tool of evaluating this heritage through its origins selected in: language, belief and knowledge, and its mechanism of Interference Knowledge and mechanism of deliberative approximation; the first mechanism is concerned with (Knowledge Interference) in the research of the integration of heritage through the overlap of his various knowledge, and the second mechanism is concerned with (deliberative approximation) in the approximation of movable science to the Arab Islamic deliberative field, and bringing Greek ethics Is done the requirements of the rounding means and in accordance with the principles of the deliberative area.
Keywords: Approximation, Deliberative, Ethics, Islamization, Taha Abd Errahmane.

المؤلف المرسل: عصام بوشرية، **الإيميل:** eaissam88@gmail.com

مقدمة :

ارتبط مشروع تجديد الفكر العربي الإسلامي عند طه عبد الرحمن ببناء رؤية تكاملية للتراث العربي الإسلامي؛ تحاول أن تنظر إلى التراث كوحدة كلية تستجمع في تركيبها ما اختص به هذا التراث من آليات تمثل مناهجا للقراءة والبحث ، وأيضا مضامين هذا التراث كمعرفة تراكمية تمثل جهود العلماء المسلمين عبر التاريخ.

ولأن تجديد المعرفة الإسلامية يستدعي النظر في الأسس المولدة لهذه المعرفة أو الآليات المنتجة لهذه المعرفة، الأمر الذي جعل من طه عبد الرحمن يبدي تصورا منهجيا يفصح عن فحوى هذا التجديد، سماه ب"المجال التداولي ".

إذ يعتبر المجال التداولي عنده الدعامة الأساسية المؤسسة لنظرية التكاملية للتراث، فهو أداة تقويم هذا التراث من خلال أصوله وأركانه المحددة في : اللغة والعقيدة والمعرفة ، وتتحد آليات اشتغاله بمبدأين : التداخل المعرفي والتقريب التداولي.

يختص المبدأ الأول(التداخل المعرفي) ؛ ببحث تكامل التراث من خلال تداخل معارفه المختلفة، بينما يختص المبدأ الثاني (التقريب التداولي) بتقريب العلوم المنقولة إلى المجال التداولي العربي الإسلامي.

هذا الأخير هو ما سنحاول الكشف عن مفهومه في فكر طه عبد الرحمن مع الوقوف على جانب تبقي منه يتعلق بتقريب علم الأخلاق اليوناني من خلال الإجابة على الإشكال التالي :

- الإشكال :

ما المقصود بالتقريب التداولي عند طه عبد الرحمن ؟ وماهي معالم الأسلمة الممكنة التي تتحقق بفعل توظيف هذه الآلية في مجال الأخلاق ؟

- المحور الأول: التقريب التداولي: مفهومه وإشكالاته

- أولا/ التقريب التداولي كمفهوم :

يعتبر مبدأ التقريب داعي منهجي عند طه عبد الرحمن باعتبار أن لكل الأمة خصوصية معرفية يؤطرها مجالها التداولي الخاص بها؛ إذ بمقتضاه تحافظ على عنصر الأصالة فيها، الذي يبقيها متماسكة أمام اختراق أفكار نابعة من مصادر أخرى، إذ تتعامل وفق شروط هذا المجال بتكييف هذه الأفكار وفق مبادئه وشروطه المحددة.

هذه العملية الآلية يصطلح عليها طه عبد الرحمن بالتقريب التداولي ، فما هو المقصود بالتقريب التداولي عند طه عبد الرحمن ؟

" إن التقريب التداولي هو ذلك الإجراء الذي به يتم وصل المنقول بالمأصول أو جعل المنقول نفسه مأصولا"[1]، فالتقريب إذن هو وصل بين طرفين، أحدهما: مصدر التقريب؛ وهو المنقولات الأجنبية ، والثاني : مقصد التقريب؛ وهو المجال التداولي الأصلي ، ويوجد عنصر ثالث هو عملية الوصل ذاتها التي تجمع بين هذين الطرفين: المنقول والمأصول[2].

فإذا سلمنا بأن المجال التداولي النهائي يقوم على أصول وقواعد تميزه عن غيره من المجالات التداولية الأخرى؛ فإنه يكتسب قدرته المانعة من انتقال ما ليس منه بالأصالة بواسطة التقريب التداولي؛ الذي يعد كإجراء ضامن لسلامة هذا الانتقال دون أن يخل بأصول المجال التداولي[3].

كما أن هذه العملية تساهم في تغيير مضمون المنقول ووظيفته وفق ما يقتضيه المجال المنقول ف" متى ظهر لنا أن التقريب متغير في كيفياته متقلب في أطواره لا يقف عند نهاية لا يجد لها ازديادا بعدها ، علما يقينا أن فائدة التقريب ليست في موافقة المنقول بقدر ماهي في مخالفته ، ولا في التوفية بأغراض المجال المنقول منه بقدر ماهي في خدمة المجال المنقول إليه"[4].

ومن زاوية أخرى يشرح إبراهيم مشروح التقريب التداولي عند طه عبد الرحمن مميزا بين ضربين من التقريب:

أ/ تقريب نظري يتعلق بتصحيح العلوم النظرية المنقولة وتكييفها (تأويلا وتصريفا) مع محددات أو مقومات المجال التداولي.

ب/تقريب عملي يتعلق بتنقيح العلوم العملية المنقولة وتوجيهها بمقتضى موجهات المجال التداولي.

على هذا الأساس يتضح لنا اشتغال آلية التقريب بشكل عام متمثلا دورها في إحداث تطابقا بين المنهج والمضمون ضمن خصوصية المجال التداولي وتبعا لهذا الإعداد المسبق يتم التفاعل من المنقول الوافد من ثقافات أخرى من خلال الدمج والإقصاء وفق آليات التقريب المفعلة لمقومات المجال التداولي اللغوية والعقدية والمعرفية[5].

يقول طه عبد الرحمن:" لا سبيل إلى معرفة الممارسة التراثية بغير الوقوف على التقريب التداولي الذي يتميز من غيره من طرق معالجة المنقول باستناده إلى شرائط مخصوصة يقضي عدم استيفائها إلى الأضرار بوظائف المجال التداولي ، فضلا عن استناده إلى آليات صورة محددة"[6].

- ثانيا/ خصائص التقريب التداولي أو التقريب كمفهوم مغاير:

يميز طه عبد الرحمن بين مفهوم التقريب ومفاهيم أخرى مقاربة له كالتوفيق والتسهيل والمقاربة على النحو الآتي :

أ/ الفرق بين التقريب والتوفيق :

يفرق طه بين التقريب والتوفيق على أساس أن التقريب لا يشترط فيه التعارض عكس التوفيق الذي يشترط فيه التعارض ، بل لا يتم إلا بوجود التعارض وإلا انتفى دوره ، في حين التقريب يشترط فيه وجود مجال تداولي تنقل منه المفاهيم إلى المجال التداولي الأصلي .

ومثال هذا الفرق؛ مفهوم (التيوس) في المجال التداولي اليوناني المقابل لمفهوم (الإله) في المجال التداولي الإسلامي، فالقائل بالتوفيق يرى أن المفهومين يحملان معنى واحد ألا وهو الصانع الذي ليس فوقه صانع، لكن المشتغل بالتقريب يرى باختلافهما تبعا لاختلاف المجال التداولي لكل منهما.

فبمقتضى التأصيل العقدي نجد (التيوس) يمثل المبدأ الأول في مراتب عند اليونان أما عند المسلمين ف(الإله) هو المستحق للعبادة ، فهناك فرق بين النظرة للإله ذات بعد نظري وأخرى ذات بعد عملي[7] .

وبمقتضى التأصيل اللغوي نجد (التيوس) يأخذ معنى السيار الدال على الحركة والفلك والكوكب ، بينما (الإله) يرتبط بمعاني : الـ ـاعة والخضوع والعمل[8] .

وبمقتضى التأصيل المعرفي نقف على الأصل المعرفي ل(تيوس) هي الصانع بينما (الإله) في الإسلام هو الخالق , وفرق كبي بين القيمتين؛ فالصانع يصنع من شيء والخالق يخلق من لا شيء.

ب/الفرق بين التقريب والتسهيل :

إن (التسهيل) هو استعمال الألفاظ اليسيرة المشهورة التي يتساوى في إدراكها كافة الناس ، أي أنه يكون مـابقا لمعنى التبسيط ، وبناء على علاقة اللغة بالفكر يكون معنى التسهيل ذا بعدين: أحدهما : طلب الإدراك السهل برفع التعقيد في المضامين العلمية، والثاني: طلب العبارة السهل برفع الصعوبة عن الصيغ التعبيرية "[9].

يرى طه أن التقريب يتميز من التسهيل من الوجهين الآتيين :

أ ـدهما: أن التقريب يتعلق بالأصول التداولية الثلاثة: العقيدة، واللغة، والمعرفة، بينما التسهيل في الممارسة الفلسفية، يتعلق بالعبارة وحدها ...

والثاني: أن التقريب هو تحري السلامة في العبارة وتحري الصحة في الاعتقاد، وتحري العمل في المعرفة، بينما التسهيل في الممارسة التراثية عموما، هو طلب السهولة في العبارة وفي الممارسة الفلسفية خصوصا؛ هو طلب البساطة في المعرفة .

ج/ الفرق بين التقريب والمقاربة :

إن مقاربة الشيء تعني الدنو منه من غير التداخل معه، وضدها المباقة، فالمقاربة تحتفظ بمعنى البعد ولو جزئيا عكس التقريب الذي ينتفي معه البعد كليا إلى حد المباقة؛ لأن التقريب يتجاوز حدود نقل المنقول إلى المأصول يصل معه إلى حد المباقة من خلال معالجة المضامين في كلا المجالين التداوليين حتى تحصل المعرفة الضرورية الكافية بوصل عناصرهما[10] .

ثم أن هناك فرق آخر من حيث أن المقاربة تعتمد الظن وتخلو من اليقين عكس التقريب الذي لايتم إلا باليقين ، فالمقارب ينقل ما يباق مجاله أو مباقته بعد معالجته ، وفي كلا العمليتين يحصل اليقين[11] .

بعد توضيح الفرق بين مفهوم التقريب والمفاهيم المقاربة له ، نحاول الكشف عن الآليات الصورة المكونة لمبدأ التقريب التداولي عند طه عبد الرحمن .

- ثالثا/ الآليات الصورية للتقريب التداولي:

يذكر طه عبد الرحمن أن آليات التقريب التداولي أنواع كثيرة ، ويكتفي لعرض الصور الست الأساسية لآليات التقريب وهي[12]:

أ-آلية الإضافة: يتم خلالها تكميل المنقول بما يجعله متوافقا مع المجال التداولي الأصلي .

ب-آلية الحذف: يسقط من المنقول كل من شأنه أن يعارض أو يصادم المجال التداولي الأصلي، أو يخل بتحصيل اليقين والضروري من المعارف .

ج-آلية الإبدال: يتم عبرها إبدال عناصر المنقول المصادمة للمجال التداولي الأصلي بعناصر أخرى تناسب أصوله ومضامينه ووظائفه.

د-آلية القلب: تعتمد هذه الآلية في تغيير عناصر المنقول تقديما وتأخيرا حتى تتناسب مع أصل اللغة والمغرفة داخل المال التداولي .

هـ-آلية التفريق: تميز هذه الآلية بين مدلولين أو وصفين في المنقول ، فيحتفظ بالعنصر المتوفق مع أصول المجال التداولي ويصرف مكان مخالفا لهذه الأصول.

و- آلية المقابلة: تعمل هذه الآلية على الإتيان بالمعاني والألفاظ التي تقابل المنقول سواء على سبيل الموافقة أو المخالفة؛ فإذا كان ما تم الإتيان به موافقا نقلت إليه أوصاف المنقول، وإن كان مخالفا نقلت إليه نقائض هذه الأوصاف.

- رابعا / أضرب الإخلال بشرائط التقريب التداولي :

يشير طه عبد الرحمن إلى أهمية الأخذ بعملية التقريب من خلال تفعيل آلياته ، حتى يحافظ المجال التداولي على أصوله ، من ثم تحفظ خصوصية المعرفة الإسلامية من التشويه، الناتج عن دخول ما هو أجنبي عنها دون المبادرة لتكييفه مع خصوصيتها وما يميزها عن غيرها من المعارف

الإنسانية ، من هذا الباب يقف طه عبد الرحمن عند أسباب يرى أنها يمكن أن تخل بعملية التقريب هي[13] :

أ/ الإخلال بالتصحيح مع لفظ التداول الأصلي واليقين فيه: ويسميه طه "النقل المقلد"؛ حيث يقدم المقرب على نقل المنقولات من مجالات تداولية أخرى معتبرا أنها لا تؤثر على أصول التداول الأصلي اللغوية والعقدية والمعرفية مدفوعا بفكرة أن المعرفة الإنسانية مشتركة بين الأمم والثقافات، وقد سلك هذا المسلك أصحاب النزعة العقلية من فلاسفة الإسلام .

ب/ الإخلال بالتصحيح مع لفظ التداول الأصلي وفقد اليقين فيه: ويسميه طه " النقل المستلب"، ينتج هذا النوع من الإخلال بسبب عدم تحصيل اليقين في القواعد التداولية الأصلية، فيعمد المقرب إلى النقل دون النظر في مدى موافقة أو مخالفة ما ينقل للمجال التداولي الأصلي، ويستمر في هذه العملية بداعي أن المنقول إن كان يقينيا فهو أولى بالثقة وبالقواعد التداولية المنتجة له، وإن كان غير يقيني فهو يستوي في الثقة مع القواعد التداولية الأصلية ولا بمكن ترجيح أحدهما على الآخر إلا بدليل[14] .

ج-الإخلال بالتصحيح مع فقد التداول الأصلي، ولفظ اليقين في غيره، ويسميه طه" النقل المتعصب"؛ يحصل هذا الإخلال باستناد الناقل إلى قواعد غير أصلية محصلا اليقين فيها، و يعمد إلى النقل دون مباشرة التصحيح، بالتالي ينتج عن هذه العملية فصل المعارف عن مجالها المنقولة منه أو وصلها بمجالها التداولي .

د- الإخلال بالتصحيح مع فقد التداول الاصلي ، وفقد اليقين في غيره ، ويسميه "النقل المستهتر" ؛ ويتم هذا الإخلال في حالة عدم تحصيل الناقل اليقين من القواعد التداولية غير الأصلية ، فيقصد إلى النقل من أي مجال تداولي كان دون ضبط لمعارفه ومقاصده[15].

المحور الثاني: التقريب التداولي لعلم الأخلاق اليوناني أو آلية أسلمة علم الأخلاق

يبني طه عبد الرحمن رؤيته التقريبية أو أسلمة علم الأخلاق اليوناني وفق آليات التقريب المحددة سلفا، وطبقا لأصول المجال التداولي الذي حدده ، يقول طه في هذا الصدد: " إذا ظهر بـ لان القول بأن عناية علماء الإسلام ومفكريهم بعلم الأخلاق قلت عنايتهم بغيره من المعارف الفلسفية، ظهر كذلك أن هذه العناية اتخذت صورة تقريب المنقول الأخلاقي بإخراجه عن وصفه التجريدي إلى وصف تسديدي يمد جانبه اللغوي بالاستعمال وجانبه العقدي بالاشتغال و جانبه المعرفي بالإعمال ."[16]

يحاول طه البرهنة على دعواها هذه بإظهار معالم هذا التقريب بناء على الأسس التالية :

- إبطال ادعاء قلة العناية التراثية بعلم الأخلاق .

- التقريب اللغوي للأخلاق بواسطة إمدادها بالاستعمال .

- التقريب العقدي للأخلاق عن طريق إمدادها بالاشتغال .

- التقريب المعرفي للأخلاق بفضل إمدادها بالإعمال .

- أولا/ إبطال دعوى ضعف العناية التراثية بعلم الأخلاق:

يرتب طه عبد الرحمن نقده للرأي القائل نسبة اهتمام الفكر العربي والإسلامي بالأخلاق كان ضعيفا مقارنة بعنايته بالمعارف الأخرى أو أن تناول المسألة الأخلاقية كان ترديدا لما جادت به المدونة اليونانية عبر مدارسها[17] عبر خطوات ثلاث هي :

- ثبوت صلة الشريعة الإسلامية بالأخلاق.

- الخصوصية الاستشكالية والاستدلالية للأخلاق الإسلامية .

- الكليات الأخلاقية الفطرية .

أ/صلة الشريعة الإسلامية بالأخلاق: وثبتت هذه الصلة بدعوة الإسلام إلى الخلق ، وجاء التأكيد على هذه الصلة كثير من النصوص، أبرزها ما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم " إن خياركم أحاسنكم أخلاقا "[18] .

ب-خصوصية الأخلاق الإسلامية: إن الاخلاق الإسلامية ليست ملزمة بنمط البحث الأخلاقي اليوناني الخاص من حيث مقتضياته المضمونية كإشكالات أخلاقية طرحها الفكر اليوناني في صدد تأسيسه لنظرية أخلاقية، و كذلك من حيث مقتضياته المنهجية؛ كطرق للتحليل والتعليل والتدليل للوصول للحكم الخلقي .

بالتالي فالأخلاق ضمن دائرة الفكر الإسلامي تحتفظ بخصوصيتها المنهجية والمضمونية في بنيتها المعرفية المكونة من: علم الفقه والكلام والتصوف الذي ارتبط اسمه بعلم الأخلاق وعلم السلوك، وما أخذنه الفلسفة الإسلامية من هذه العلوم فيما يتعلق بالمسألة الأخلاقية[19].

ج- الكليات اللاأخلاقية الفطرية: لم يقف الفكر الإسلامي في اشتغاله الأخلاقي عند حدود الاستنباط من الشرع وفق المقتضيات المنهجية (استدلال منهجي) والمضمونية (استشكال مضموني)، بل استفادوا في بناء رؤاهم الأخلاقية من فلسفات أخرى يونانية وفارسية وهندية[20] .

وقد ساهم هذا الدمج بين الاشتغال على الأصل والوافد في تشكيل رؤية أخلاقية تنطلق من قناعة مؤداها فطرية الدين وما ينتج عنه من معاني سلوكية عملية تتداخل وتشترك مع معاني أخلاقية ككليات مشتركة بين الأمم[21] من حيث هي قواعد عامة ضابطة السلوك الإنساني .

وقد كان الأخذ بهذه الكليات على نحو متفرد كأن تركز ثقافة ما على الكليات العقلية فهذا يعود لمذهبها المعرفي القائم على مفهوم خاص للعقل ، أما الأخذ بمفهوم واسع للعقل: نظري وعملي يترتب عليه الأخذ بالكليات الأخلاقية بمناحي مختلفة: كدعوة جاء بها الإسلام كخطاب عوض أن يكون استقل العقل المجرد بإدراكها، وكذلك كجانب عملي في المعرفة بما يقابل النظري منها، وكذلك ككليات في نظرية مشتركة تشترك فيها الإنسانية بمختلف ثقافاتها .

بعد اعتراض طه عبد الرحمن على القول القائل بضعف العناية بعلم الأخلاق في الفكر العربي الإسلامي، ينتقل بعدها لتوضيح أسس العملية التقريبية على نحو مجمل يقف على معالم هذه الآلية وأبعادها، فعملية التقريب تتم من خلال مكونات المجال التداولي (اللغة والمعرفة والعقيدة) غير الخطوات التالية[22] :

أ- إن التجريد الناشئ عن نقل أخلاق يونانية إلى الفكر العربي والإسلامي خضع لأصول المجال التداولي؛ فعلى المستوى اللغوي (التجريد اللغوي) تم تصحيح الدلالة اللغوية اليونانية وفق مقتضى قواعد الأصل اللغوي العربي بتزويدها بالقوة الإستعمالية في نقل المفاهيم الأخلاقية اليونانية، وعلى المستوى العقدي(التجريد)؛ تم تخريج هذه المفاهيم على مقتضى قواعد الأصل العقدي عن طريق إمدادها بالقوة الاشتغالية الضرورية، ثم على المستوى المعرفي (التجريد المعرفي)؛ تم إخضاع المفاهيم والأحكام الأخلاقية لقواعد الأصل المعرفي الإسلامي من خلال تزويدها القوة الإعمالية بعدما كانت متعلقة بالحكمة النظرية .

ب- إن تصحيح المفاهيم والأحكام الأخلاقية اليونانية، وفق أسس المجال التداولي (لغة –عقيدة – معرفة) يكون على النحو التالي :

1/ **تفضيلي:** يقضي بامتياز الأصل الإسلامي عن الأصل اليوناني، ويتحقق هذا التفضيل بصرف أسباب التفضيل الذي يتأسس عليها التداول اليوناني اللغوية والمعرفية والعقدية، ويصطلح طه عبد الرحمن على هذه القاعدة التداولية بـ(قاعدة الإعجاز اللغوية أو قاعدة الاختيار العقدية أو قاعدة الاتساع المعرفية) .

2/ **تأصيلي:** وهي عبارة عن " صرف بعض أوصاف المعنى أو الحكم الأخلاقي المنقول، حتى يستوفي المقتضيات الأساسية للأصل التداولي"، ويصطلح طه عبد الرحمن على هذه القاعدة بـ(قاعدة الإنجاز اللغوية أو قاعدة الإئتمار العقدية أو قاعدة الانتفاع المعرفي) .

3/ **تكميلي**: وهو عبارة عن " التصرف في المعنى أو الحكم الأخلاقي المنقول، زيادة أو نقصانا ، حتى لا يفرق بينه وبين المعنى أو الحكم الأخلاقي المأخوذ من مجال التداول العربي الإسلامي" ، ويصطلح طه على هذه القاعدة بـ(قاعدة الإيجاز اللغوية أو قاعدة الاعتبار العقدية أو قاعدة الاتباع المعرفية)[23].

ج- إن التصحيح التفضيلي للمنقول الأخلاقي اليوناني يقوم على استبدال الأفضلية اليونانية بأفضلية إسلامية عربية ، وتتجلى الأفضلية على مستوى اللغة؛ فاللغة العربية أفضل من اللغة اليونانية، فالإعجاز البياني القرآن تحقق بواسطتها ، والعقيدة الإسلامية القائمة على التوحيد أفض من العقيدة اليونانية القائمة على الوثنية، والمعرفة الإسلامية أفضل من المعرفة اليونانية باعتبار أنها تتحقق بالعمل[24] .

- ثانيا/ آليات التقريب اللغوي وجلب الاستعمال للمفاهيم الأخلاقية اليونانية

أ_ صلة المعنى الإصطلاحي بالمعنى اللغوي :

لما كان الفكر اليوناني يؤسس للإصطلاحاته الأخلاقية بناء على لغته اليونانية، تطلب نقل المفهوم الأخلاقي اليوناني إلى اللغة العربية حصول تفاوت بين المعنى اللغوي والإصطلاحي، بالتالي يقصد إلى استعمال المقابل في اللغة المنقول إليها على نحو لا توجد فيه صلة بين المعنيين كما هو الشأن في اللغة المنقول منها، فيصعب خلالها إدراك الدلالة الحقيقة للمصطلح والإشكالات المترتبة عن الاستعمال.

ب_ مبدأ الاستعمال والمفاهيم الأخلاقية اليونانية :

يتم التقريب اللغوي للمفهوم الأخلاقي اليوناني وفق مبدأين : تأصيلي (مبدأ التبليغ) وتكميلي (مبدأ التأديب) بغرض إضفاء الجانب العملي.

1/ **مبدأ التبليغ :** يعتمد مبدأ التبليغ على **فصاحة اللفظ**؛ وذلك بأن يكون المعنى مطابقا للفظ وكذلك مناسبته له[25] ، كما يعتمد أيضا على **صحة المعاني** من وجهين : أحدهما الموافقة؛ أي موافقة المعنى بشبيهه ، والثاني: المخالفة ؛ أي مقابلة المعنى بضده[26] .

وتأخذ هذه المقابلة وجهين أو صورتين:

- صورة معجمية؛ تكون بإيراد المقرب المصطلح اليوناني ثم يأتي بما يدخل ضمن حقله الدلالي على سبيل الموافقة مثل مصطلح (الحكمة) وحقلها الدلالي الذي يشمل: العقل والحجر واللب، والحجا ... وكل هذه الألفاظ نجد منها العقل فقط يقابل(الحكمة) اليونانية .

أما على سبيل المخالفة مثل: مصطلح (الاختيار) وحقله الدلالي على سبيل الضدية: الاضطرار، الاجتواء.. فكلا المصطلحين متضادين مع الاختيار [27].

- صورة تركيبية؛ تكون بالجمع في العبارة بين المعنى المنقول ما يقاربه من لفظ أو ألفاظ في المجال العربي الإسلامي، سواء كانت هذه الألفاظ تماثله أو تضاده . ومثالها : الجمع ين (الشهوة والهوى)، أو (الشجاعة والحلم) .

إلى جانب فصاحة اللفظ وصحة المعنى هناك شرط آخر وهو شهادة الأصول؛ ويقضي هذا الشرط بالاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية المؤيدة للمفهوم الأخلاقي المنقول عن طريق[28] :

- الحذف: وهو: "إسقاط بعض السمات الدلالية المقترنة بالمصطلح" مثل : الشجاعة على أنها "فضيلة القوة الغضبية التي تكسب صاحبها القدرة على رباطة الجأش في المخاوف..." . فيصير حد الشجاعة :" بذل النفس للموت نشرا للدين أو دفاعا عنه "[29]

- الإضافة: وهي:" الزيادة في السمات الدلالية للمصطلح" ، مثل حد الظلم في الاصطلاح الأفلاطوني: " الخروج عن توازن وتكامل الفضائل الثلاث: العفة والشجاعة والحكمة" ، وفي الإصطلاح الأرسطي " ترك طاعة القانون عموما، وترك الانصاف في توزيع الحقوق وتصحيحها بأخذها من الظالم وإعطائها للمظلوم خصوصيا" ، فتضاف سمة أخرى إلى هذه السمات المتعلقة بظلم الغير وهي" ظلم النفس " .

- القلب: وهو" تغيير رتب سمات المصطلح، فيصير ما كان أصلا فرعا، وما كان فرعا أصلا" وطبقا للمثال السابق يصير ظلم النفس أصلا وظلم الغير فرعا بعدما كان أصلا " فالظالم أبدا مبتدئ بظلم نفسه "[30] .

- الإبدال: وهو" ترك عنصر أو أكثر من سمات المفهوم الأخلاقي اللغوية والاصطلاحية والإتيان بعنصر أو أكثر مكانه" . ومثاله : حد العفة في الاصطلاح اليوناني:" ضبط النفس عن اللذات الحيوانية " . فتستبدل اللذات الحيوانية بمصطلح اللذات المحرمة، وحمل التحريم هنا على الحرمة الشرعية، فيصير بذلك حد العفة كالتالي " أنها غض البصر وجميع الجوارح عن الأجسام التي لا تحل "[31] .

من خلال مبدأ التبليغ عبر أصوله الثلاثة (صحة الألفاظ - صحة المعاني - شهادة الأصول) يتم تهذيب المصطلحات الأخلاقية اليونانية بعزلها عن أوصافها الدلالية الموضوعة لها وتوظيفها في المجال التداولي الإسلامي، فيؤدي هذا إلى تنشيطها عن طريق ردها ببنيتها الدلالية واستعمالها المعتاد .

2- مبدأ التكميل :

"يفيد في تكميل المفاهيم الأخلاقية بربطها ببنيات الحقل الإحالي لهذا اللسان" ، ويتم هذا من خلال الشروط التالية:

- **بلاغة الحكمة:** تتعلق بأداء المنقول في صورة حكمة باعتبار أن الحكمة تحوز على خاصيتين هما: القول الجامع والقيمة العملية .

- **تأثير الموعظة:** تتم بتأدية المعنى المنقول في صورة موعظة لارتباطها بخاصتين جوهريتين هما: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأيضا: الترغيب والترهيب .

- **تعين المثل:** يكون بأداء المعنى الأخلاقي في صورة مثل باعتبار أن المثل يتماز بخصيصتين هما: الإخبار بواقعة معينة، وأيضا الإشعار بمعيار سلوكي معين[32] .

وينتج عن اتصال الحقل الدلالي الذي تم وفق مبدأ التبليغ والحقل الإحالي الذي تم وفق مبدأ التكميل؛ ربط المعنى اللغوي بالاصطلاحي دون تفاوت بينهما، وتوجيه هذا الترابط بحسب مقصد الخطاب العربي الإسلامي، وعلى هذا الأساس تكتسب المفاهيم المنقولة قوتها لاستعمالية التي فقدتها قبل عملية التقريب .

- ثالثا/ آليات التقريب العقدي وجلب الاشتغال للأحكام الأخلاقية اليونانية

تقوم آلية التقريب العقدي للأخلاق اليونانية على مبدأين: الأول؛ تأصيلي يقوم الإيمان وعلى التشريع الإسلامي من خلال التأسيس لأخلاق توحيدية، ويتم على هذا الاساس ربط الأخلاق اليونانية بالحقل الإيماني.

والثاني؛ مبدأ الفطرة من خلال جعل الأخلاق شاملة للفرد والمجتمع فيؤدي هذا إلى تكميل الأخلاق اليونانية بربطها بالحقل التأنيسي للممارسة الإسلامية[33] .

أ/ مبدأ الإيمان بالله وتأصيل الأحكام الأخلاقية: يقوم هذا المبدأ على الاعتقاد بوجود الله والتسليم بأحكام شريعته، وينبني هذا الأساس على التسليم بحقيقيتين :

1- أن الأخلاق مبنية على التوحيد لا على التعديد .

2- أن الاخلاق مشرعة تشريعا إلهيا لا موضوعة وضعا إنسانيا[34].

ب/ مبدأ الفطرة الإنسانية وتكميل الأحكام الأخلاقية: يفيد هذا المبدأ في أن الله تعالى أودع في الإنسان فطرة تتحقق بها عبودية الإنسان، وقوام هذا المبدأ :

1- أن الأخلاق لا تخص جانبا دون جانب من حياة الفرد.

2- أن الأخلاق لا تخص فئة دون فئة من الأمة .

ويتحقق وفق هذا المبدأ شمولية الأخلاق لكافة جوانب الفرد ظاهرها وباطنها من خلال توسيع مفهوم السياسة؛ بحيث لا تقف عند حدود رعاية مصالح الأفراد، بل تعتني أيضا بأحوالهم النفسية، وتوسيع مفهوم المدينة بإضفاء سمة التعاون والعمل الحلال إلى جانب التنظيم الاجتماعي وتحقيق الخير الأسمى، وتوسيع مفهوم الخلافة؛ فعوض اقتصارها على الشأن الدنيوي تسعى إلى تحقيق معنى عمارة الأرض وما تحمله من معاني تهيير النفس والسلوك على نحو يجعل منها استخلافا أخلاقيا.

كما يحقق هذا المبدأ شمولية الأخلاق لكبقات المجتمع من خلال توسيع مفهوم السياسة الضيق إلى سياسة قوامها مفهوم الأمة؛ الذي يتجاوز حدود المكان والزمان وحتى الحدود المعنوية كالعرق والدين واللغة؛ فهو يحتوي كل هذه المكونات .

وكذلك الأمر يتعلق بمفهوم العبد؛ فهو يرتقي من كونه مواطنا يتمتع بحقوق وواجبات إلى صفة العبودية التي تعد تكريما له بمقتضى الفكرة التي يتساوى عندها الجميع[35].

رابعا/: آليات التقريب المعرفي وجلب الإعمال للمعرفة الأخلاقية اليونانية

تقوم آلية التقريب المعرفي للأخلاق اليونانية على مبدأين:

أولهما: الاستثمار التأصيلي؛ الذي يهدف إلى تفعيل القول الأخلاقي وربط العمل بالعلم، مما يؤدي إلى ربط المفهوم الأخلاقي اليوناني بالعمل التبيقي .

وثانيهما: الاستضمار؛ ويهدف إلى الاقرار بوجود صفتين: قلبية وتفاضلية، مما يؤدي إلى ربط المفهوم الاخلاقي المنقول بالحقل الروحي .

ومن خلال هذه الآلية بشقيها الاستثماري والاستضماري تكتسب صفة الإعمال داخل المجال التداولي العربي الإسلامي[36]، وتتيح إمكانية تصحيح التصور اليوناني للفضائل وفق الممارسة الإسلامية عن طريق:

أ-استقلال الحكمة النظرية، وتحتاج هذه الحكمة إلى استعادة الوصل بالحكمة العملية .

ب-الأخذ بظاهر السلوك، ويحتاج هذا الظاهر إلى الاستكمال بوصله بالباطن .

خاتمة :

من خلال هذا العرض الوجيز الذي حاولت فيه إبداء رأي طه عبد الرحمن حول تفاعل المعرفة الإسلامية بغيرها من المعارف انطلاقا من فلسفته الخاصة، التي حاول التأسيس لها من منطلق تجديدي إبداعي اصطلح عليه بالمجال التداولي يختص شق منه بالتفاعل مع المقولات الخارجة عن المجال التداول الأصلي بعملية سماها "تقريبا تداوليا" .

وعلى هذا الأساس يمكن القول **أن** محاولة طه عبد الرحمن التقريبية كانت تهدف إلى بيان عناية الفكر الإسلامي العربي بالأخلاق، وهو موقف رام به الرد على ادعاء الجابري الذي نفى أن يكون هناك عناية بالأخلاق من المنظور الفلسفي والنقدي .

كما أن آليات التقريب النابعة من المجال التداولي (اللغة والعقيدة والمعرفة) عند طه عبد الرحمن تعد بمثابة فعل تصحيحي للقول الأخلاقي اليوناني القائم على النظر بتكميله بالعمل، فهي رؤية إبداعية مغايرة لأنماط تفاعلية أخرى ترى مقاربة الأفكار والثقافات الأخرى في ترجمتها لتراث غيرها أو الاقتباس الانتقائي أو تلفيق بين ما هو أصيل عندها وما جادت به العقول الأخرى وتنتهي بنسبة هذه المعرفة لها أو أنها صارت من خصوصيتها .

إن الغرض من آلية التقريب؛ هو وصل المجال التداولي اليوناني بالمجال التداولي العربي الإسلامي وصلا يقوم على تسديد عملي للنظر الأخلاقي استعمالا واشتغالا وإعمالا[37] . هذا الانتقال الخاص يترتب عنه انتقال عام؛ يخرج الأخلاق من خصوصية اللغة اليونانية إلى شمولية تعبيرية تتيح بناء معنى اصطلاحي على معنى لغوي .

كما تخرج الحكم الأخلاقي من الخصوصية السياسية إلى الشمولية الحضارية بربطه بمفهوم الأمة، وكذلك إخراج خصوصية العقلانية النظرية إلى شمولية فكرية وتوسيع مجال النظر ليشمل العمل سواء كان شرعيا أو عرفيا[38] .

في الأخير يمكن القول أن رؤية طه عبد الرحمن المتعلقة بالمجال التداولي وآليات اشتغاله تحتاج لمزيد بسط ومناقشة على مستوى الأصول المحددة وعلى مستوى الإجراء وحدوده، ثم مقارنتها بالأطروحات المقدمة حول مشروع الأسلمة حتى يتمكن العقل العربي والإسلامي من أن يستجمع تصورا كليا يستسيغ من خلاله مفهومية واضحة يؤسس عليها معرفة عربية وإسلامية متماسكة منهجيا في إطار خصوصيتها المعرفية ومتوازنة في تفاعلها مع منظومات معرفية أخرى .

هوامش المقال:

[1] ادريس هاني ، خرائط ايديولوجية ممزقة ، ط1، الانتشار العربي ، بيروت ، لبنان ، 2006 ، ص326 .

[2] طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي ، بيروت(لبنان) والدار البيضاء (المغرب)، د ت، ص273 .

[3] المصدر نفسه، ص273.

[4] المصدر نفسه ، ص297 .

[5] إبراهيم مشروح ، طه عبد الرحمن : قراءة في مشروعه الفكري ، ط1، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، 2009، ص168-169 .

[6] طه عبد الرحمن، مصدر السابق، ص273 .

[7] المصدر نفسه ، ص255-256 .

[8] ستار جبر حمود الأعرجي ومحمد حمزة إبراهيم ، المنهج التداولي في فكر طه عبد الرحمن ، مجلة كلية الدراسات الإنسانية الجامعة ، العدد2، السنة2012م ، ص 186 . وانظر أيضا : محمد عابد الجابري ، العقل الأخلاقي العربي ، ط 1 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص594 .

[9] طه عبد الرحمن، مصدر سابق ، ص258-259 .

[10] المصدر نفسه ، ص275-276 .

[11] المصدر نفسه، ص276

[12] المصدر نفسه، 277 .

[13] طه ، مصدر سابق، ص277 .

[14] الأعرجي و إبراهيم ، مرجع سابق، ص191 .

[15] المرجع نفسه، ص192 .

[16] طه، مصدر سابق، ص384-385.

[17] توفيق الطويل، الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، د ط، دار النهضة ، القاهرة، ص196 .

[18] محمد بن اسماعيل البخاري ، الجامع الصحيح ، ط5 ، دار ابن كثير /اليمامة، بيروت، لبنان، 1414ه/1993م، كتاب الأدب ، باب: حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم الحديث: 5688 ، ص2245..

[19] طه ، مصدر سابق ، ص386.

[20] المصدر نفسه، ص387 .

[21] ابن تيمية ، كتاب الرد على المنطقيين، د ط، دار المعرفة، بيروت، د ت، ص422-424 .

[22] طه، مصدر سابق ، ص388 .

[23] المصدر نفسه ، ص389 .

[24] طه ، مصدر سابق، ص390 .

[25] المصدر نفسه، ص 392 .

[26] أبو الحسن علي الماوردي ، أدب الدنيا والدين، ت: مصطفى السقا، د ط، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت، ص271.

[27] المصدر السابق ، ص 394 .

[28] طه، مصدر سابق، ص395 .

[29] أبو محمد علي ابن حزم ، الأخلاق والسير في مداواة النفوس، ط2، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1985، ص 23 .

[30] الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة ، ت: أبو يزيد العجمي ، مطابع الوفاء ، المنصورة ، 1987 ، ص357 .

[31] المرجع السابق، ص 32 .

[32] طه ، مصدر سابق ، ص 397-398 .

[33] المصدر نفسه ، ص407 .

[34] المصدر نفسه ، ص402 .

[35] طه ، مصدر سابق ، ص405-407 .

[36] المصدر نفسه ، ص 417 .

[37] طه ، مصدر سابق ، ص418 .

[38] المصدر نفسه، ص 419 .